المرأة ضحية التقاليد

الختان:

يبحث د.خالد منتصر فى التاريخ عن أصل لعادة الختان فى مصر عن طريق عروس النيل لدى الفراعنة فى موسم «وفاء النيل» الذى كان وقتا مناسبا لختان البنات فى مصر القديمة عن طريق الدايات، وكانت الأجزاء المقطوعة من الأعضاء التناسلية للفتاة تلف فى حجاب، وتربط بخيط حول عنق الفتاة حتى تلقى فى النهر يوم الاحتفال بعيد الفيضان، وكان الاعتقاد أن الفتاة التى لا تفعل ذلك تبقى عانسا، وإذا تزوجت لا تنجب، وإذا أنجبت لا يعيش أطفالها..

ومن أقدم الدراسات الميدانية التى قام بها د.محمد كريم أستاذ أمراض النساء والتوليد بطب عين شمس سنة ١٩٦٥ على عينة من سيدات نادى القاهرة(٢٠٠ سيدة)، وجاءت النتائج أن ٧٤٪ منهن أجريت لهن عملية الختان، ثم عاود البحث على عينة من سيدات نفس النادى سنة ١٩٩٤ فاتضح أن ٩٨٪ منهن مختتنات؛ وهو ما يدل على انتشار هذه العادة، وزيادتها مع زيادة عدد السكان، وعند إجراء البحث على المترددات على العيادة الخارجية بطب عين شمس وجد أن هناك علاقة رقمية بين الفقر، والأمية، وتقل النسبة مع تقدم التعليم بالنسبة للوالدين، وزيادة الدخل..

وفى فصل عن الآثار النفسية للختان يقرر د.خالد فى كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» أن التسلط الاجتماعى من الذكور على الإناث، وأيضا من النساء على النساء هو الذى يفسر ظاهرة الختان نفسيا، حيث إن الرجل يطرق كل وسائل التقوية الجنسية، فلماذا لا تكون المرأة مثبطة جنسيا بالختان؟.. ويرجع سبب ذلك إلى تعدد الزوجات، والفرق الكبير فى السن بين الزوجين..

وهو يعدد الأضرار الصحية للختان فى فصل خاص ومن أهمها ضعف التجاوب الجنسى للمرأة

obeikandl.com

بسبب إزالة «البظر» فى عملية الختان الذى يعتقد أن إزالته تكبح الشهوه الجنسية، بينما الشهوة الجنسية أصلا مصدرها المخ، والأعضاء التناسلية التى ما هى إلا أداة المخ - المحرك الأساسى للشهوة الجنسية - وكل ما تخرج به البنت من هذه العملية هو عدم قتل الرغبة؛ بل قتل الإشباع الذى أجمع المؤيدون، والرافضون للختان فى الاتفاق على شيوع تعاطى الرجال للحشيش للوصول إلى إشباع المرأة سواء كانت غير مختونة - فهى لا تشبع كما يقال - أو مختونة، فهى لا تصل إلى الإشباع من جراء قطع وسيلته وهى «البظر»، وأن هناك نسبة من الأزواج مقترنون بزوجة أخرى حلا للمشاكل الجنسية، والأسرية، وهناك أبحاث تؤكد حدوث الاكتئاب لدى بعض السيدات، والعصبية، وإثارة النكد من بعضهن الآخر لعدم الوصول إلى إشباع رغباتهن، وقد يملن للانحراف فى حال السيدات ذات التنشئة الاجتماعية غير القويمة فى سبيل الوصول للإشباع الجنسى المفقود..

ولمن ينسبون هذه العادة للدين الذى لم يقترب منها بنص، أو بفعل؛ بل أقر القرآن الخلقة الربانية التى لا ينبغى تغييرها بالقطع لأى غرض:

-«فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» الروم(٣٠)..

-«الذى أحسن كل شىء خلقه» السجدة(٧)..

-«لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم» التين(٤)..

-«وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » النساء(١١٩)..

ويعلق د.محمد سليم العوا فى مقال له بجريدة الشعب فى ١٨ من نوفمبر ١٩٩٤على الآية الأخيرة بقوله:

-«إن القرآن الكريم جعل من المعاصى قطع بعض الأعضاء ولو فى الحيوان؛ بل هو مما توعد الشيطان أن يضل به بنى آدم فى أنعامهم، وقرنه بتغيير خلق الله، والختان للإناث بصورته التى يجرى بها فى مصر، وفى أجزاء أخرى من العالم الإسلامى فيه تغيير لخلق الله من قطع لبعض الأعضاء المعصومة ما لا يخفى، وإذا كان هذا فى الحيوان من إضلال الشيطان؛ فكيف يكون فى حق الإنسان؟!»..

أما الأحاديث فلم يصح منها ما قيل فى هذا الشأن على نحو ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عطية: -«إذا خفضت فأشمى، ولا تنهكى، فإنه أسرى للوجه، وأحظى

عن الزوج»..

علق عليه أبو داود بقوله إن حديث ختان المرأة روى من أوجه كثيرة، وكلها ضعيفة، معلولة، مخدوشة، ولا يصح الاحتجاج بها..

ويعلق الشيخ محمود خضر فى ١٩٩٧ على أحد الأحاديث بقول الرسول صلى الله عليه وسلم للخاتنة:

-«إن كنت فاعلة»..

إنما دل على أن الأمر من أوله لآخره مكروه، وأن الأفضل البعد عنه نهائيا، وقد جمع الإمام «الشوكانى» فى كتابه «نيل الأوطار» كل هذه الأحاديث، وحكم عليها بالضعف..

وقضية الختان من القضايا التى شغلت الرأى العام المصرى، كما شغلت قنوات الإعلام الغربى، وحتى يومنا هذا، وقد أفردت د.نوال السعداوى جزءا كبيرا من كتابها «المرأة والغربة» لمناقشة هذه القضية، وكانت البداية عندما ناقشت الموضوع فى مجلس نقابة الأطباء متأثرة بما يقال فى أمريكا بخصوص هذا الموضوع؛ حيث إنهم يريدون منع الختان لكل من الإناث، والذكور، وهو ما رفض أطباء المجلس مناقشته من الأساس، بل ذكروا أن عضو المرأة الذى يُقطع فى الطهارة ليس له ثمة فائدة، بل العكس إنه ضار، إذ يجعل المرأة تنصرف إلى إشباع رغبتها الجنسية على حساب مصلحة الزوج، والأطفال..

حدث الختان على مدى التاريخ فى جميع المجتمعات البشرية، وليس فى إفريقيا فقط كما يشاع، وهى تعتقد أن الختان انتشر مع انقسام البشر إلى عبيد، وأسياد؛ فكان الأغنياء يقدمون اللحم قربانا للآلهة، أما الفقراء فيقدمون ما يزرعونه فى الأرض من خضراوات، وفاكهة، والعبيد الذين لا يملكون سوى أجسادهم فعليهم بقطع جزء من أجسامهم لتُقدم قربانا للآلهة..

وهى تتعرض لرأي أحد الدعاة المشهورين عن الختان، وهو

-«الختان(أو الخِفاض) كرامة للمرأة لأنها بالختان تفقد شهوتها فلا تكون طالبة للرجل(بل مطلوبة منه)، فالرجل لا يحب المرأة الذى تطلبه، أو الغوراء(بعيدة الشهوة، أو الشبِقة)؛ بحيث إذا ركبت دابة، واهتزت فارت شهوتها، فالختان إذا كرامة للمرأة»..

وهى تعلق على ذلك طبيا أن المخ هو العضو الأساسى فى الجنس، وهو مصدر الإثارة الجنسية، وأن هناك تصورات خاطئة، أو عدم دراية بالمرأة، فى خيال، وأحلام بعض الرجال الكامنة فى اللاوعى

تجعله يتصور أن المرأة ستصاب بالإغماء من شدة الشهوة إذا ما لمسها بيده، إنها إحدى الخرافات المتوارثة تاريخيا منذ نشوء العبودية، أو النظام الطبقى الأبوى الذى أدان شهوة المرأة الطبيعية، وحرم عليها اللذة، واعتبرها مجرد أداة للولادة، والخدمة فى بيت الزوجية، وانعكست هذه القيم على كُتّاب بعض الكتب المقدسة مثل التوراة بدليل وجود هذه الفقرة لعقاب حواء عندما أكلت من الشجرة فى الجنة:

-«تلدين فى الأسى، والألم، ويكون اشتياقك لزوجك، وهو يسود عليك»..

وفى التوراة أيضا يدعو الرجل فى صلاته:

-«أحمدك يارب لأنك لم تخلقنى أنثى»..

إن بتر أعضاء المرأة خاصة «البظر» يفقدها جزءا من قدرتها الجنسية، إلا أنه لا يفقدها الرغبة، والإثارة التى تنبع عادة من المخ، ولكن القدرة على بلوغ اللذة الجنسية تعتمد على الأعضاء الجنسية خاصة «البظر»، فالمرأة المختونة تعيش فى إثارة جنسية مستمرة دون القدرة على تصريفها عن طريق العلاقة الجنسية، هذا التصريف للطاقة لا يتم إلا عن طريق بلوغ قمة اللذة Orgasm، ومن بعده تنتهى الإثارة، وتعود المرأة إلى طبيعتها، فحرمان المرأة من بلوغ اللذة يؤجج الإثارة فى عقلها، وخيالها دون إشباع تفتك بصحة المرأة الجسدية، والنفسية، وتسبب لها عديدا من الأمراض؛ أولها الاكتئاب، وهو ما يعرف فى الطب النفسى «باكتئاب الزوجات» الذى يرجع إلى عدم بلوغ اللذة فى أى علاقة جنسية مع الزوج..

obeikandl.com

جدول يحتوى على أعداد النساء المختونات فى الدول التى تمارس ختان الإناث سنة ١٩٩٨، وكلها دول إفريقية تسبقهم جميعا مصر، وهى مرتبة تنازليا (عن كتاب الختان والعنف ضد المرأة):

١	مصر	٢٧,٩٠٥,٩٣٠
٢	السنغال	٢٥,٦٠١,٠٠
٣	إثيوبيا	٢٤,٧٢٣,٩٥٠
٤	السودان	١٢,٨١٦,٠٠٠
٥	كينيا	٦,٩٦٧,٥٠٠
٦	مالى	٥,١٥٥,٩٠٠
٧	الصومال	٥,٠٣٤,٢٦٠
٨	بوركينا فاسو	٣,٦٥٦,٨٠٠
٩	ساحل العاج	٣,٠٤٨,٢٧٠
١٠	غانا	٢,٦٣٥,٢٠٠

obeikandl.com

١١	سيراليون	٢,١٦٧,٢٠٠
١٢	تشاد	١,٩٢٣,٠٠٠
١٣	إريتريا	١,٥٩٩,٣٠٠
١٤	تنزانيا	١,٥٥٢,٠٠٠
١٥	بنين	١,٣٦٥,٠٠٠
١٦	الكاميرون	١,٣٣٦,٨٠٠
١٧	زائير	١,١٠٧,٩٠٠
١٨	توجو	١,٠٤٤,٥٠٠
١٩	نيجيريا	٩٢١,٢٠٠
٢٠	ليبيريا	٩٠٢,٤٠٠
٢١	السنغال	٨٣٨,٠٠٠
٢٢	وسط إفريقيا	٧٥٩,٨١٠

obeikandl.com

٢٣	أوغندا	٥١٣,٠٥٠
٢٤	جامبيا	٣٩٦,٨٠٠
٢٥	موريتانيا	٢٥٩,٢٥٠
٢٦	جيبوتى	٢٤٨,٩٢٠

رسم بيانى يوضح انتشار الظاهرة فى مصر والسودان وإثيوبيا (الحبشة)

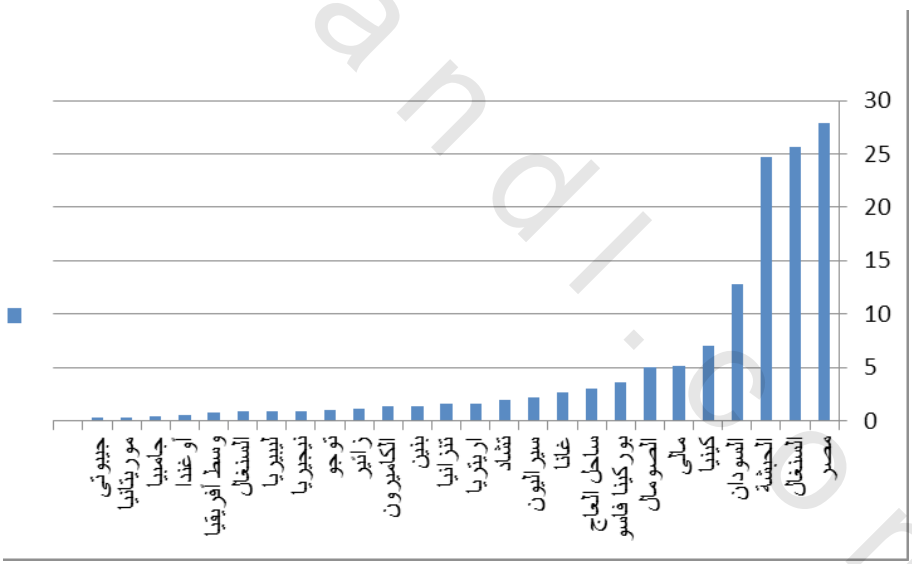

تقاليد أخرى:

لا أدرى قد تأتى متاعب المرأة من امرأة مثلها، كخطف الرجال مثلا - على حد قولهن - أو عند تزويج الأبناء من مطلقات، فلا يواجه الابن الاعتراض إلا من والدته..

عصابة الصين التى كتب عنها «محسن محمد» فى الجمهورية يوم ١ من فبراير ٢٠٠٧ تعتمد على تقاليد صينية قديمة تقول؛ إن الحى يجب أن يحقق رغبات الميت، بأن يطلبون عروسا لابنهم الذى مات يقولون إنهم سيزوجونها له، ثم يأخذون الفتاة، ويقتلونها، ويدفنوها مع الابن الميت، وأحيانا يعطون الأب المهر بعد أن يكونوا قد قتلوا الفتاة دون علمه..

وتقتل الفتيات فى مناسبات كثيرة دون أن يعرف أحد، وتباع لأسرة الشاب الميت بمبالغ تصل إلى ٥٠٠٠ دولار، وتدفن الفتاة بجوار الميت حتى يجدها الشاب عندما يستيقظ، وقد قبضت الشرطة فى إنجلترا، والصين على عصابات كثيرة من هذا النوع..

ضرب الزوجات:

فى مقال محمود نافع بجريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ٢٢ من أبريل ٢٠٠٤ عرض لرسالة جامعية أعدتها د.إيمان بيبرس عن ضرب الزوجات، وقد أجرت دراسة ميدانية قوامها ٤٤٤ سيدة ٩٦٪ منهن يتعرضن للضرب بشكل مبرح، وتتعرض نسبة كبيرة منهن للضرب ١٠ مرات على مدى الحياة الزوجية، وكانت النتيجة أن٦٠٪ من سيدات المناطق العشوائية يتعرضن للضرب بالكابل الكهربائى، ٢٠٪ من السيدات يتعرضن للضرب بالحزام، ٢٠٪ من السيدات يعاقبن بتوليفة من اللطم، واللكم على الوجه، والركل، والإصابة بالكدمات..

ينص تعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة عن أشكال العنف الموجه ضد المرأة فى الأهرام بتاريخ ٦ من أغسطس ٢٠٠٢ على أنه فعل قائم على أسلوب عنيف ينجم عنه الإيذاء، أو المعاناة الجسمية، أو الجنسية، أو النفسية، أو الحرمان النفسى من الحرية فى الحياة العامة، أو الخاصة، وعلى ضوء هذا التعريف أجرى د.ناهد رمزى، د.عادل سلطان بالمركز القومى للبحوث دراسة اجتماعية أثبتت أن المرأة فى المجتمع المصرى تتعرض لثلاثة أشكال من العنف الأسرى، والعنف المؤسسى، والعنف

obeikandi.com

الاجتماعى، وأكثر هذه الأشكال هى العنف الأسرى تجاه المرأة فى مختلف أدوارها سواء كانت زوجة، أو ابنة مثل الضرب، والمعاملة القاسية، والختان، أو السخرية، والاستخفاف، والتهديد بالطلاق، أو المماطلة فيه، أو الاقتران بأخرى، أو هجر للزوجة فى سن كبيرة دون رعاية..

وصنفت الدراسة الممارسين للعنف ضدها بين الزوج ٧١,٩٪، والأب بنسبة ٤٢,٦٪، والأخ بنسبة ٣٧٪، ويندهش الباحثان من أن ٩٢٪ من نساء عينات البحث أجمعن على أن للزوج الحق فى عقاب زوجته دون النظر إليه باعتباره عنفا ضدها، أما العنف المؤسسى فيتمثل فى استبعاد المرأة من مراكز السلطة، وحرمانها من الترقى، وإظهارها بصورة سطحية، وباهتة فى وسائل الإعلام المختلفة، أما العنف الاجتماعى فيبدو من تعرض المرأة للمعاكسات، والتحرش الجنسى، والترهيب، والاغتصاب..

obeikandl.com